عودة الاميركان الى الشرق الاوسط

في الاسبوع الذي توفي فيه الجنرال سبيرز بطل طرد الفرنسيين من الشرق الاوسط والخصم التاريخي لسالين في اوروبا الغربية اثناء الحرب العالمية الثانية . تعج مطارات الشرق الأوسط برجال الاعمال الاميركيين الذين صاروا يدخلون بلادنا وكأنهم من اهل البلد.

قبل عشرين سنة ، يوم جاء جون فوستر دالاس ، او بعض مبعوثيه « كاندرسون » و« ستون » وغيرهما ، امتلأت شوارع دمشق وبيروت بالمتظاهرين الذين كانوا ينددون بالزيارات وبالزائرين . ولعل جيلنا ما زال يتذكر بعضا من قصائد الشعراء في هجو الموفدين الاميركيين الى الشرق الاوسط ومن ابرزها قصيدة نزار قباني في استنكار زيارة « اندرسون » الى سوريا والتي جاء فيها :

« اليوم اتانا اندرسون برداء فقير هندي
ليقول بان سوريه حمراء اللون شيوعية»

كان ذلك في منتصف الخمسينات يوم كان الشارع العربي مربط خيل الاحزاب والمنظمات الوطنيه . وفي عشرين سنة . تمهدت عودة الاميركيين الى الشرق الاوسط عبر المراحل الاتيه :

١ ــ مسلسل الانقلابات العسكرية الذي بدأ في سوريا عبر الجنرال حسني الزعيم والذي اعترفت المخابرات المركزية الاميركيه فيما بعد بتمويله والاعداد له .

٢ ــ تولت العقلية الانقلابية العسكرية ازاحة المنظمات الحزبية واحدة تلو الاخرى حتى افرغت الساحة ولم يعد في الجو العربي السياسي الا طرفين غير متكافئين . السلطة العسكرية الديكتاتورية والجماهير الشعبية المسحوقة .

٣ ــ عندما تويت الموجة الوطنية الوحدوية باتجاه الوحدة اولا ثم بتفجير ثورة اليمن في المرحلة الثانية ، شعرت الامبريالية الاميركية بان حزام نفطها الامني قد صار تحت رحمة الموجات الشعبية ، فكانت حرب ١٩٦٧ بمثابة الضربة القاضية التي وضعت حدا لمسرحية المد والجزر بين سياسة الحياد الايجابي وبين سياسة الركوع تحت اقدام البيت الابيض .

بعد حرب ١٩٦٧ ، وعلى وجه التحديد بعد العام ١٩٦٩ شهدت المنطقة العربية بداية عودة النفوذ الاميركي بشكل خجول عبر المؤشرين الاتيين الاول زيارات وليم روجرز الى المنطقة وما رافق ذلك من مشاريع تصفوية تراجعية . ثانيا تثبيت السعودية « بطريركا » على مجموعة من الانظمة العربية ذات الاعلام التقدمي . ويمكن اعتبار عملية طرد الخبراء الروس من مصر في العام ١٩٧٢ بمثابة مفترق الطريق بين السياسة السابقة التي كانت قائمة على توازن الوجودين الروسي والاميركي في المنطقة العربية . كذلك تعتبر المؤامرة الرجعية الدموية التي مولتها المخابرات المركزية الاميركية بالتعاون والشراكة مع النظامين المصري والليبي ضد ثورة ١٩ حزيران في السودان تكريسا لاصرار الاميركيين على العودة الى الشرق الاوسط ومنه الى العالم الثالث الغني بالمواد الخام وبمواقعه الاستراتيجية بعد ان يطمئنوا الى ان الارض العربية صارت « نظيفة » امامهم افريقيا في السودان وفي غيره ، اسيويا في الاردن (مذبحة ايلول) وحتما وجدت بعض اثار تنظيمات وطنية او ثورية .

طبيعا ، عندما يقول قائل « الشرق الاوسط » ، فانه يعني مصر عربيا . لانه مصر كانت وما زالت هي الجسر الارضي الذي عبرت عليه او منه كل الامبراطوريات الغريبة التي جاءت الى بلادنا (اليونان ــ الرومان ــ الصليبيون ــ العثمانيون الفرنجة واخيرا اليهود). كذلك عانت مصر في تاريخها الحديث (اي منذ مطلع القرن الثامن عشر) وما زالت تعاني من تيارين ، الاول هو تيار اسلامي (عروبي قومي فيما بعد) تمثل باستفاضة احمد عرابي (١٨٨٢)، ضد الانكليز والتي كانت مدعومه ومباركة من السلطنة العثمانية . وقد نظرها كتابيا جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده وعبد الله النديم . الثاني ، هو تيار الاعجاب او الانتساب للغرب الذي تكرس في ثورة ١٩١٩ سياسيا ، وعبر كتابات رفاعة الطهطاوي في البداية ثم سلامه موسى واحمد لطفي السيد وطه حسين فيما بعد . وهذا التيار يحاول باختصار تزويج الحضارة الفرعونية « بالحضارة الغربية » تماما كما تم تزاوج الحضارة الاوروبيه سابقا من حضارة اليونان .

وقد حارت ، ثم ضاعت حركة ٢٣ يوليو امام هذين التيارين . ارضت التيار الاسلامي بتبنيها شعار الوحده العربية ، (فكان تأميم القناة ثم تأميم المصالح الغربية) . وحاولت ان ترضي التيار المتفرج ببعض التشريعات والقوانين التقدمية فكان شعار الحياد الايجابي السياسي تدريجا لهذا الحياد بين تيارين وايديولوجيتين ، وانتهت التجربة مع صاحبها جهيضة قابلة لالف اجتهاد واجتهاد .

كيف سيعود الاميركيون الى الشرق الاوسط من الباب العريض بعد ان طردوا من الشبابيك الضيقة ؟

اختصارا ، بالنفط وبالايمان . وتفصيلا على الانحاء الاتية :

ستبلغ عائدات النفط في العام الحالي (١٩٧٤) الى مجموع البلاد العربية صاحبة هذه المادة ما يوازي ١٠٠ مليار دولار (حصة السعودية منها فقط ٢٠ مليار دولار) يقدر الخبراء الاقتصاديون بان البلاد العربية غير قادرة على استيعاب الا نصفها . فاذا اضفنا الى هذا الرقم « العابر » مجموع الودائع العربية النفطية في مصارف اوروبا واميركا ، والتي قدرتها مجلة « دير شتبيغل» في عام ١٩٦٩ بمبلغ ٢٧٠ مليار دولار (فقط) ،لفهمنا الطريق الذي ستسلكه الرساميل الاميركية للعودة الى الشرق الاوسط . لقد نشرت بعض الصحف اللبنانية اخيرا « ان الاميركيين قد اشتروا ما يعادل ٨٠ بالمئة من البنوك اللبنانية »، وقبل مصارف لبنان (مميز المنيعة)، تسللت الشركات الاميركية الدولية (Multinationales) الى معظم المرافق الاقتصادية الاوروبية (مصارف ــ شركات السيارات ــ المصانع الكبيرة) بنسب تصل احيانا الى ما يزيد عن الستين في المئة (خصوصا المانيا الغربية والبلاد الواطية ــ هولندا وبلجيكا).

وبالمال العربي ، سيغزو الاميركيون بلادنا . فقد استقر راي خبرائهم على ان المال العربي ، اذا ما أستمر في التدفق الى المصارف والمؤسسات الغربية ، فسيضاعف من حدة ازمة التضخم التي يشكو منها الغرب الراسمالي . اذا ، حماية للراسمال الغربي ، سيوظف جزء من الراسمال العربي في البلاد العربية « شفقة » ، وجزء آخر في البحوث التي ستجري للاستغناء عن النفط بعد العام ١٩٨٠ (!) . وقد اعتمدت مصر مرة ثالثة او رابعة منطلقا لهذه الخطة الاميركية ذات الهدفين . الهدف الاول محاولة اغراء المدن المصرية بشيء من الازدهار (كالسياحة والفنادق وقطاع الخدمات) كترضية لعزلة بطيئة ومدروسة عن « مشاكل العالم العربي » .. الهدف الثاني ، جعل مصر قاعدة للانطلاقة الاميركية الجديدة في القارة الافريقية ذات المواد الخام من جهة . وذات الاسواق القادرة على استيعاب فائض ارباح الراسمال الغربي المتدهور .

وبعض المؤشرات ــ القرارات القليلة التي صدرت اخيرا في مصر تعطي الدليل وتؤكد البرهان : مشروع خط الانابيب الجديد بين السويس والاسكندرية والذي بلغت تكاليفه المرتقبة ٤٠٠ مليون دولار موزعة مناصفة بين الاميركان (!) ودول الخليج العربي . مشروع مجمع كبير لتكرير النفط في مدينة الاسكندرية قيمته ايضا ٤٠٠ مليون دولار (النفط السعودي ــ سدمين) .

تمني من احدى لجان « مجلس الشعب » على بيع جزء من حصص الشركات المؤممة الى القطاع الخاص (بنسبة ٤٩٪) وازالة القيود المفروضة على دخول وخروج الرساميل العربية والاجنبية . تشكيل مجلس اقتصادي اعلى تابع مباشرة لرئيس الجمهورية يرئسه الدكتور محمود فوزي (توت عنخ آمون) ومن اعضائه الدكتور حجازي وزير الصناعة والتخطيط ومحافظ القاهرة وغيرهم .

ومهمة هذا المجلس « ازالة جميع القوانين التي كانت تعيق تشغيل رؤوس الاموال الاجنبية في مصر » . ويعتقد ان قرارا سريا اتفقت عليه اللجنة هو تعويم الجيش المصري بعد اليوم الاول لاعادة تشغيل قناة السويس . العرض الفرنسي الجديد لتوسيع وتعميق قناة السويس (العرض الحالي للقناة ٩٠ مترا . والعمق ٣٨ قدما .

والطلب ان يصل العرض الى ١٤٦ مترا والعمق الى ٦٦ قدما) . قرار اعادة صالات السينما الى اصحابها (اي تحريرها من القطاع العام) وقد سبقتذلك اعادة جزء كبير من الاراضي التي كانت مصادرة او تحت الحراسة منذ العام ١٩٦١ الى اصحابها كبار الملاكين او احفاد الاقطاعيين .

واذا حاولنا فهم الازمتين العالميتين الراهنتين وهما : ازمة الطاقة في الدول المصنعة وازمة المواد الغذائية في دول العالم الثالث ، خصوصا اللحوم والقمح والارز) . واذا عرفنا كذلك ان الولايات المتحدة تكاد تحتكر المواد الغذائية الاساسية عالميا . لاستوعبنا اللعبة المزدوجة التي سيلعبها الراسمال الاميركي ، عبر عملائه ، في البلاد العربية التي تشكو معظم حكوماتها ، بكل اسف واستعجاب) من نقص هائل في المواد الغذائية . عائدات شركات النفط الاميركية ٢٠٠ مليار دولار للعام الفائت فقط يوظف قسم منه في « انعاش » المنطقة ، بينما يسترجع المبلغ اياه وربما اكثر بواسطة بيع المواد الغذائية التي تملك احتكار تصديرها شركات النفط الاميركية اياها مباشرة او « مساهمة » .

خلال عشرين سنة قاومنا النفوذ الاميركي وجروه الكيان الصهيوني . الان . تريد بعض الانظمة العربية المستسلمة ان « نحب اميركا » ونصالح الكيان الصهيوني لاي سبب ؟ حتى تبيع النفط ونصحح ميزان المدفوعات الاميركي ! ■■

ابراهيم سلامه